شيخ المجاهدين العرب !

رحم الله شيخ المجاهدين العرب، ابن قطاع جنين وابن نابلس وابن فلسطين وابن العرب، المجاهد المسلم الشيخ الدكتور عبد الله عزام، الذي أصبح رمزًا مضيئًا في حياة كل من يتطلع إلى أن تكون كلمة الله هي العليا.

ـ ١ ـ

عرفته في الولايات المتحدة الأمريكية عندما كانت رابطة الشباب المسلم العربي تدعوه للمشاركة في مؤتمرها السنوي في نهاية كل عام ميلادي (ديسمبر) وذلكم في النصف الأخير من السبعينيات الميلادية والنصف الأول من الأربعمائة الهجرية، السبعينيات والثمانينيات الميلادية. كان يحاضر في هذه المؤتمرات ويمثل جانبًا مضيئًا في فلسطين المحتلة قبل أن يتوجه إلى بيشاور مشاركًا إخوانه المجاهدين الأفغان في المسيرة التي بدءوها مع نهاية التسعينيات الهجرية، السبعينيات الميلادية. فقد كان ـ رحمه الله ـ أحد المؤثرين في معسكرات الشيوخ التي انبثقت بعد حرب ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، وكانت تابعة رسميًا لحركة «فتح» وشارك ـ عليه الرحمة ـ في عمليات جهادية داخل فلسطين المحتلة، منها ما أطلق عليها عملية «الحزام الأخضر» حيث قاد فيها سبعين مجاهدًا إلى مقاطعة بيسان لينفذوا عملية «من أشهر عمليات الالتحام مع جنود الاحتلال» كما يقول المصدر.

ولا ينكر المتابعون أياديه البيضاء وجهوده المضنية في تكوين حركة «حماس» التي أصبح لها اليوم أثر فعال في توجيه شباب فلسطين وغير شباب فلسطين من المتعطشين للجهاد.

ـ ٢ ـ

ويتوجه إلى أفغانستان سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م بعد جولات مع العلم والتدريس في الجامعات العربية في الأردن والمملكة العربية السعودية، ثم

داعيًا إلى الله في هذه الجولات العلمية لتمتد دعوته لتصل إلى أفغانستان حيث يدير من بيشاور مكتبًا للخدمات يتلقى التبرعات بالملايين، ويتأكد ويؤكد لأهل الخير وصولها إلى ما أريد لها ومن أريد لها أن تصل إليه. وبنى المدارس والمستشفيات والمآوي، تكفل بها مئات اليتامى من أبناء المجاهدين الذين سبقوه في طرق أبواب الشهادة، وبعمله هذا كان يقدم البديل العملي لحركات التنصير التي سبق وأن ذكرت أن خمسين جمعية منها تستعد الآن لتعمل داخل أفغانستان بعد أن يتحقق النصر كاملاً، وسبعًا منها تعمل الآن في مخيمات المهاجرين وغيرها من مدن أفغانستان التي حررها المجاهدون حتى الآن. فيضرب شيخ المجاهدين العرب المثل الحي على مقدرة المسلمين على القيام بهذه الأعمال وعلى استعداد رجال الخير وأهله في كل مكان على التصدى لهذا العجز الذي خلفته الحرب في كل مكان وليس في أفغانستان وحدها، ولو تعددت هيئات الإغاثة فتعددها ـ كما يشير معالي الدكتور عبد الله بن عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامية ـ ظاهرة صحية تترجم الوعي المتزايد لدى المسلمين تجاه إخوانهم المنكوبين بالحروب والزلازل والجفاف ونحوها من نوائب الزمان. (الرابطة ـ عدد ٢٩٥ في صفر ١٤١٠هـ).

ـ ٣ ـ

★ وقد وفق شيخ المجاهدين العرب في أن يكون مثالاً حيًا لألف أو يزيد من المجاهدين العرب الذي انضموا إلى الجهاد الأفغاني منذ بدء حركة الجهاد وكان يفهم هؤلاء ويفهمونه، فكان همزة الوصل بينهم وبين قادة الجهاد في أفغانستان، وكان ـ رحمه الله ـ قد وقف وقفات تذكر فتشكر أمام الدعوة التي حاولت التقليل من شأن هؤلاء المجاهدين العرب؛ تلكم الدعوة التي شككت في النوايا وأرادت أن تقيم حواجز إقليمية وقومية بين المجاهدين

في ميدان واحد، سواء كان هذا الميدان ميدان الحرب أم الميادين الأخرى في التدريس والتطبيب والإدارة، بل والهندسة أحيانًا. وقد كان في آخر يوم من حياته متوجهًا إلى الجامع الذي كان يتجمع فيه هؤلاء العرب يخطب فيهم مثل عادته عندما يكون موجودًا في المنطقة.

ـ ٤ ـ

★ وقد وفق شيخ المجاهدين العرب في إصداره مجلة تنطق بالعربية سماها «الجهاد» تترجم للبعيدين الحال وتصوره لهم حتى لكأنهم يرونه، وتزف بشرى استشهاد شاب من المملكة العربية السعودية وآخر من اليمن وثالث من الكويت ورابع من مصر وخامس من الجزائر وسادس من الأردن وسابع من المغرب وثامن من السودان.. وهكذا.

وكانت افتتاحيات كل عدد ترجمة حقيقية للدعوات إلى مزيد من الاهتمام بالجهاد والمجاهدين في أفغانستان، ولعلها تجمع في كتيب يضاف إلى إسهامات شيخ المجاهدين العرب العلمية قبل انضمامه للمجاهدين الأفغان وبعده.

ـ ٥ ـ

★ وقد وفق الشيخ في أن يكون همزة وصل بين قادة الجهاد في الوقت الذي كانت تحاك فيه المؤمرات ضدهم سعيًا إلى تفريق الكلمة وتفتيت مقومات الوحدة وإثارة النعرات التي سوف يكون لها عظيم الأثر السلبي على مسيرة الجهاد، ولكنها لن تنجح بفعل وعي المجاهدين وسمو رسالتهم. فكان ـ عليه من الله الرحمة ـ مسموع الكلمة؛ حيث عرفوه بنصرة الجهاد المجردة من أي هوىً. وكان ينتهج أسلوب التوفيق بين زعماء المجاهدين يعمل مطمئنًا لقرب النصر في الوقت الذي استبعد فيه البعض هذا النصر خاصة بعد خروج الروس السوفييت الجزئي من أفغانستان في المراحل

الأولى .

وهو نفسه لم يسلم من كيلٍ من الاتهامات والتهديدات، وهو الرجل المسلم الذي اتجه إلى أفغانستان المسلمة . ولكنه كان يجيب على هذه الاتهامات برحابة صدر وبإجابات «مفحمة» توقف المعترضين المتهمين عندها؛ لأنها إجابات واقعية تشهد لها الأحداث التي لم ينسها التاريخ، والرجل الشيخ قد صمم على الجهاد وهو يعلم بخلفيته الشرعية شرف الشهادة في سبيل الله .

ـ ٥ ـ

★ وكثيرًا ما تردد شيخ المجاهدين العرب على البلاد السعودية الطيبة صيفًا على رجالها وقادتها وعلمائها وشبابها . . يحاضر ويخطب ويجمع التبرعات ويوضح الوضع الذي صوره في كتب نشرها بأنه فوق تصور بعض أولئكم الذين يزعمون بعمل العقل، ولكنها الخوارق التي يمنحها الله لأوليائه وعباده الصالحين، وكان ـ يرحمه الله ـ يذكر بكل تقدير وقفات هذه البلاد الطيبة حكومة وشعبًا مع الجهاد في أفغانستان، ولا تفوته فرصة إلا ويؤكد على هذه الوقفات سواء سئل عنها أو لم يسأل .

ـ ٦ ـ

★ وقد كان له موقف يذكر في الولايات المتحدة الأمريكية عند استضافة أحد المراكز الإسلامية له هناك، فأشاد بموقف المملكة العربية السعودية من الجهاد، وكان أحد المخدوعين لم يرغب في هذه الإشادة فما كان من الشيخ إلا أن ينبري له ويغضب غضبة الحق ويرد عليه ردًا قويًا جعله يتراجع ويراجع نفسه ويكون هذا الدعي هدفًا للتوبيخ من أصحابه فيعتذر للشيخ والحاضرين . فما أراد إلا إحقاق الحق، وإن كان الحق قد لا يرضي بعض المخدوعين بالادعاءات والدعايات . وتعد هذه من آخر وقفاته المبدئية،

فربما أنه لم يعد بعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن ذهب إلى لقاء ربه.

ـ ٧ ـ

★ وتعود «أم محمد» زوج شيخ المجاهدين العرب إلى بيتها بعد أن ألقت النظرات الأخيرة في الدنيا ـ بإذن الله ـ على زوجها المجاهد وابنيها اللذين ذهبا معه قبل ظهر يوم الجمعة ٢٦/ ٤/ ١٤١٠هـ ـ ٢٤/ ١١/ ١٩٨٩م لتجد مجموعة من الحبيبات سبقنها إلى البيت معزيات مهوِّنات عليها وقع الخطب والمصيبة التي أصابتها في بيتها. ولكنها وهي المجاهدة أيضًا قد استرجعت وعلمت أنهم سبقوها ودعت الله أن تلحق بهم ويجمعهم جميعًا في جنات عدن التي وعد بها المتقون، هكذا يشعر أو يريد البعيدون عنها ولكنها هي لا تزكي نفسها ولا يزكيها أحد ولكنه الأمل برحمة الله تعالى.

موقفها هذا ليس غريبًا على نساء المؤمنين فقد سبقتها بكثير تماضر بنت عمرو الشرِّيد «الخنساء» حينما قدّمت أربعة من الولد في موقعة القادسية، فعندما نقل إليها الخبر حمدت الله ودعته أن يجمعها بهم في جنته. وهكذا يكون موقف المجاهدات المؤمنات من الخنساء إلى أم محمد زوج شيخ المجاهدين العرب.

ـ ٨ ـ

★ فَقْدُ الشيخ وبهذه الطريقة ستكون له آثاره الإيجابية ـ بعون الله ـ على مسيرة الجهاد، فلن ينثني المجاهدون وقد تعودوا على أن يشيّعوا إخوانهم دون أن ينظروا إلى من يودعون، فكلهم في الميدان مجاهدون، ولكنهم يغبطون الشيخ على أن يسّر الله له هذه النهاية التي سيكون لها ـ بإذن الله ـ الأثر البالغ على إخوانه قادة الجهاد في أفغانستان حينما يدركون أنهم فقدوا يدًا يمنى كانت خير عون لهم، وبطريقة تدعوهم إلى أن يكونوا يدًا واحدة في طريق المتآمرين عليهم من أولئكم الذين يطيب لهم أن تبقى هذه البلاد الطيبة

«أفغانستان» معقلاً من معاقل الشيوعية ومحطة تصدر منها التعاليم الحمراء إلى ما جاورها من البلاد.

ـ ٩ ـ

★ رحم الله شيخ المجاهدين العرب ابن قطاع جنين وابن نابلس وابن فلسطين وابن العرب المجاهد المسلم الشيخ الدكتور عبد الله عزّام الذي أصبح رمزًا مضيئًا في حياة كل من يتطلع إلى أن تكون كلمة الله هي العليا. والدعوات أن يجمعنا الله به وبأمثاله من رجال الحق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسنُ أولئك رفيقا، والدعوات أن يلهم الله أهله وأصحابه وإخوانه في المسيرة الصبر والسلوان وأن يزيدهم فقده إصرارًا على الوصول إلى ما كان يريد الوصول إليه خيارًا ثانيًا فاختار له الله بعلمه الخيار الأول، وكان الله في عون الجميع.